في عنبر الاعدام

انحـــراف زوجـــة

اعداد: الدكتور عبدالله غانم

- **الجاني والمجني عليه يلعبان القمار ولا يعيران للمنزل حرمته.**
- **التنشئة الاجتماعية السيئة قادت الجاني إلى ارتكاب الجريمة.**
- **وعي رجال الأمن يمكنهم من ضبط الجناة في زمن قصير.**

تزوج الأولى فاخلصت له وعاونته وكافحت معه حتى أصبح ثرياً فتحول عنها إلي زوجة أصغر سناً واجمل هيئة.. فاسلمته إلى قاتله.

هناك نوع من القتلة، يشعر المرء أنه أقرب إلى الحيوان منه إلى الانسان .. انه يقتل لمجرد نزوة، ولا يكتفي بقتل شخص واحد، بل يقتل شخصين ليتزوج في النهاية من زوجة أحدهما، هذا هو القاتل «لملوم»، الذي لم أتعاطف معه منذ حدثني الدكتور طبيب السجن عنه، وقبل أن يقدمني إليه.

لم يغادر الدكتور الطبيب المكان حتى شرب «لملوم» الشاي ثم قال له: قل للدكتور كل شيء يا «ملوم»، انه يعرف حكايتك ولكنه أصر على سماعها منك.

ابتسم ابتسامة صفراء دون أن ينطق بكلمة.. نهض الدكتور تاركاً الغرفة، وهو ينظر إليَّ نظرة ذكرتني بكلماته التي قالها لي قبل إحضار «لملوم»، لقد قال لي حينئذ: إياك أن تثيره فهو سهل الاستثارة ويميل إلى العنف الشديد، سأكون على مقربة من الغرف وسيجلس الشاويش بالباب ويتركه موارباً.

ما أن انصرف الدكتور حتى نظرت بهدوء إلى لملوم وقد تصنعت الهدوء في الوقت الذي كنت أشعر برهبة حقيقية من هذا القاتل المتبلد، وقلت له: يا أخ «لملوم» جئت لأستمع منك، لقد قتلت رجلين، وبودي أن أسمع منك كيف فعلت هذا ولماذا؟

قال: أريد أولاً أن أعرف لماذا تقابل المحكومين

بالاعدام، لقد أخبرني بعض زملائي أنك قابلتهم قبلي، فلماذا تفعل ذلك؟

قلت: يا أخ «للوم»، انني أجري دراسة عن ظروف ارتكاب جريمة القتل، لأنني أعتقد أن من يرتكب جريمة القتل يمر بظروف ومواقف تشكل سياقاً تسهل جريمة القتل وان الضحية والقاتل والمحيطين بهما يلعبون دوراً هاماً في إتمام الجريمة.

قال: ياه: ماذا تقول؟ أنا لم أفهم شيئاً مما قلت، أنا يا دوب أعرف أقرأ وأكتب، تركت التعليم من السنة الرابعة الابتدائي.

قلت: بالعربي أنا أريد أن أعرف الظروف التي تحيط عادة بجرائم القتل.

قال متصنعاً الفهم: آه طيب وأنا أستفيد إيه؟.. مقابل ماذا؟ أجلس إليك وأحكي لك.

قلت له: على فكرة أنا قبل حضوري لمقابلة أي مبحوث أحصل على ملف القضية وأقرأه جيداً.. أما عن المقابل فأنا مستعد لأي شيء تطلبه.

صمت للحظات وألقى بنظره بعيداً ثم قال: هل تسافر إلى البلد.؟

قلت له: وما المانع؟

قال: إذن تسافر إلى بلدي (إحدى قرى محافظة سوهاج) وتقابل أخي محمود، وتحضر خطاباً بخطه عن موضوع المعارضة، أنا ليّه معارضة في الحكم، ودي عايزة إجراءات عايز أعرف هو عمل إيه؟ أنا أرسلت خطاب من شهرين ولم يأت لي رده.. إيه رأيك.؟

قلت: حاضر سأبعث أحد تلاميذي بعد غد وسيحضر لك رداً مكتوباً من أخيك.

قال: خلي بالك أنا عارف خط أخويا.

قلت باسماً: أنا عارف طبعاً.. اطمئن.

قال: الآن سأتحدث إليك، ولن أكمل طبعاً حتى تحضر لي الخطاب.

قلت له: حسناً.. إبدأ الآن، وربنا يسهل.

استمرت لقاءاتي مع هذا القاتل عدة أسابيع تحملت فيها الكثير من رزالاته ومطالبه التي لم تنته، من سجائر وأطعمة كما تابعت معه موضوع المعارضة بعد أن أرسلت تلميذاً لي إلي بلده لمقابلة شقيقه، إلاّ أن ذلك كله يهون إذا ما قورن بمشاعر الاستياء والغضب التي كان يثيرها حديثه في نفسي بجانب مشاعر التوتر والخوف التي كانت تنتابني في بعض لقاءاتي معه مما يبدو عليه من ميول عدوانية غير مأمونة العواقب.

وألخص فيما يلي قصة هذا القاتل من خلال لقاءاتي معه ومن خلال ملف القضية التي تحمل رقم ٩١٨ لسنة ١٩٩٢م العامرية.

مهاجر في المدينة:

كان «للوم» واحداً من أسرة مؤلفة من خمسة أشقاء ذكور وبنتين، وهو أصغر الذكور ولد بإحدى قرى الصعيد، نشأ «للوم» قوي البنية ميالاً للعنف يخافه الجميع، وقد ساعدته قوة بنيته وميله للعنف في إرهاب أقرانه منذ طفولته.. اعتمد على القوة دائماً في إرهاب الآخرين والحصول على ما يريد. لم يستكمل تعليمه حيث أفسده التدليل وجعله يترك المدرسة في سن مبكرة، توفي والده وتزوج اخوته الذكور والاناث إلاّ أنه لم يرد الزواج المبكر كإخوته، بعد وفاة أبيه لم يشأ العمل بالأراضي الزراعية التي يملكها والده بالقرية، ومن هنا فكر في السفر إلى الاسكندرية، وساعده في ذلك أن له أقارباً كثيرين يعملون في الميناء، فترك القرية وهاجر إلى الاسكندرية، ويقول ان اخوته لم يعترضوا على ذلك بل لعلهم وجدوها فرصة للتخلص من رزالاته وفق ما يقول.

جاء «للوم» إلى الاسكندرية واستقبله أهل بلده وبعض أقاربه وسرعان ما ألحقوه بالعمل شيالاً في الميناء كان العمل شاقاً، إلاّ أنه استطاع استناداً إلى قوته وأسلوب البلطجة الذي انتهجه دائماً أن يحصل على الأجر دون عمل حقيقي بل حتى بدون تواجد حقيقي في مكان العمل، انما يكفي أن يتواجد قبل تسجيل الحضور للعمال وبعد أن يوقع في سجل الحضور يترك مكان العمل دون أن يعترضه أحد، كان يقضي معظم نهاره بالمقا هي يلعب الورق ـ القمار ـ ويدخن الشيشة، أو لفائف السجائر، وعرف أخيراً مقهى المعلم (ع) في حي العامرية الذي أصبح مقهاه المفضل، لأنه يهيىء

جواً مناسباً للعب الورق وتدخين اللفائف، ويتجمع فيه عدد كبير من بلدياته الذين يعرفون أسلوبه ويقبلون التعايش معه، وهكذا سارت حياة (للوم) في المدينة التي هاجر اليها.

اللقاء

المعلم (ع) صاحب مقهى كبير بحي العامرية، ويجتمع في مقهاه بلدياته وأصدقاؤه من أبناء أسيوط، جاء بدوره إلى الاسكندرية بحثاً عن عمل وسرعان ما التحق بالعمل بالميناء عن طريق أحد بلدياته الذي أسكنه في كشك فوق سطح منزله، وسرعان ما تزوج (ع) بابنة مضيفه وعاشا بالكشك مدة سبع سنوات ظل خلالها يجمع كل ما يستطيع من نقود، وتوفر زوجته نقوده وتعيش معتمدة اعتماداً كبيراً على مساعدة والدها الذي لم يبخل عليها وشاركها هي وزوجها في طعام أسرته وغذائهم.

نجح (ع) بعد ذلك في فتح محل صغير لبيع الشاي بعد الظهر لعمال الميناء من بلدياته الذين كانوا يتجمعون بمحله، وسرعان ما أصبح هذا المحل مكاناً يجتمع فيه أهل هذه القرية وغيرهم بحيث أصبح المقاولون الراغبون في تكليف العمال بأعمال الميناء يذهبون مباشرة إلى هذا المحل فأصبح مكاناً للتشغيل ينتظر فيه من يريد العمل ويذهب إليه طالب العمال، وسرعان ما جمع (ع) ثروة فاشترى المنزل الذي به المحل وحول المحل إلى مقهى كبير وبنى منزلاً من دورين نقل زوجته وابنتها إلى هذا المنزل، ولم تمض أيام حتى كان قد تزوج بفتاة جميلة كان مبهورا بها، وهي ابنة لأحد جيران المقهى التي افتتحها، فوجه إليها كل عطفه واهتمامه، وترك الزوجة الأخرى وأهملها تماماً، وسرعان ما دب الخلاف بينه وبين زوجته الأولى، فطلقها وأعادها لأهلها، واحتفظ بابنتيه منها مع زوجته الثانية، وأخذت الزوجة الأولى البنت الثانية وأنجبت الزوجة الثانية ثلاثة أطفال للمعلم (ع).

كان من عادة الزوجة الثانية أن تقف في الشرفة وتطل على الشارع خصوصاً بعد ظهر كل يوم، ولما كان للوم من الرواد المعروفين بالمقهى، فقد لمحها وبدأ يتابعها وعرف أنها زوجة المعلم (ع).. لقد كانت جميلة وصغيرة السن وكان المعلم (ع) يترك لها بعض الحرية ضعفاً أمامها.

فتن للوم بالمرأة (س) أما هي فقد لفت نظرها أيضاً وبدأت تبحث عنه عندما تجلس في الشرفة ولم يمر وقت طويل حتى التقيا بأحد الأسواق بعد أن تبعها «للوم» عند نزولها في وقت اختارته بصادف جلوسه بالمقهى.. ومنذ ذلك اللقاء استمرا يلتقيان خلسة بين الحين والآخر.

الخطة ودور الزوجة:

كانت (س) حريصة على ألاّ تثير شكوك زوجها فيها، ولذا كانت لقاءاتها بلملوم قليلة، ومع مرور الوقت أصبح «للوم» يتعجل لقاءاتها، ولا تستجيب بالقدر الذي يرضيه، ولما كان شخصاً تعود أن يحصل على كل ما يريد إن لم يكن بالرضي فبالقوة، وأصبح هذا أسلوبه في الحياة والتعامل مع الأشياء والأشخاص، فلماذا لا يحصل على (س) بالقوة، لماذا لا تظل معه دائماً؟ لقد انتهى أخيراً إلى ضرورة الحصول على هذه المرأة، انها تحبني وهي من سني، وغنية، إذا حصلت عليها سأحصل على المقهى وكل شيء، ولكن ذلك يستلزم التخلص من المعلم (ع) وبطبيعته المندفعة اتخذ قراره بقتل (ع) فوراً.

بعد هذا القرار أخذ للوم يتعجل (س) للقائه بإشارات اتفقا عليها، كان من بينها أن يتعمد إلقاء علبة السجائر على الأرض ثم التقاطها عدة مرات على مرأى منها، وأخيراً فلحت (س) في لقائه، أحاط للوم (س) بقراره وطلب منها مساعدته وقد جاء قرار المحكمة مضمناً بما قالته (س) في المحاكمة موضحاً ما دار بينهما، قبل مقتل (ع) بيوم واحد ما يلي:

في اليوم السابق على يوم الحادث قابلها للوم وغازلها وأفهمها أنه ينوي قتل زوجها، والزواج بها بعد ذلك وانه في سبيل تنفيذه لذلك سيحاول المبيت معه - مع زوجها - بالمقهى ليتمكن من قتله، وقال لها مضيفاً: فإذا تعذر ذلك - أي إقناع المعلم

(ع) بالمبيت بالمقهى فإنه أي للوم سيحضر إلى منزل المعلم (ع) ليقوم بقتله وطلب منها في سبيل تحقيق ذلك أن تترك له نافذة مفتوحة، أو باباً مفتوحاً ليدخل منه إليه وانه سيعرف كيف يدخل في أي من الحالتين ووافقت الزوجة على الخطة.

ليلة الجريمة

تعمد للوم أن يصل إلى المقهى متأخراً (في العاشرة مساءً) وذلك في يوم ١٩٩٢/١٢/١٦م ولمح (س) تجلس في الشرفة كعادتها، وأسرع إلى المقهى وألقى السلام على المعلم (ع) .. بينهما معرفة قديمة كلاهما يعرف الآخر جيداً ويحذره ، إلاّ أن أحدهما لا يرهب الآخر، فالمعلم (ع) يعتمد على مكانته وصبيانه وخصوصاً مساعده (عطية) الذي لا يفارق المعلم ويتمتع بقوة بدنية يعتمد عليها المعلم (ع) في كثير من المواقف ولكن للوم كان قد أعد خطته فهو يعلم أن الشيء الوحيد الذي يستجيب له المعلم (ع) دون تحفظ هو لعب الورق - القمار - فالمعلم (ع) مشهور انه لاعب ورق محترف ويخشى رواد المقهى المقامرة أمامه، وهو شديد الفخر بذلك.

صاح للوم بمجرد أن شاهد المعلم على مسمع من رواد المقهى القريبين منهما.

للوم: ايوه يا معلم، أنا جاي مستعد لك معايا فلوس كثيرة قوي ولازم الليلة دي أغلبك.

ابتسم المعلم (ع) وقال وقد لمعت عيناه: إيه غاوي تخسر فلوسك.؟

للوم: تشوف حيخسر فلوسه مين؟

نهض المعلم (ع) واتجه وخلفه «للوم» إلى مائدة قريبة وجلس كلاهما أمام الآخر وبدأ اللعب وتجمع حولهما بعض رواد المقهى.. كان اللعب سجالاً.. كان عطية يشجع المعلم (ع) ويحضر له الشيشة والشاي تلو الشاي.

استمر لعب الورق حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وبدأت المقهي تخلو من الرواد، ونظر للوم إلى المعلم (ع) وقال للوم: لماذا لا نكمل في مكان آخر حتى لا نلفت نظر أحد خصوصاً البوليس.؟

المعلم (ع) كلام معقول: تعال يا عطية معانا في البيت عندي مكان معد خصيصاً لهذا الغرض هيا بنا نغلق المقهى ونكمل في البيت.

بعد قليل صعد الثلاثة إلى مسكن المعلم (ع) كانت الزوجة (س) مستيقظة تنتظر تنفيذ الخطة، فوجئت بزوجها يتبعه للوم وعطية يدخلون البيت ويتوجهون إلى حجرة بها مائدة وحولها بعض المقاعد وبدأ اللعب من جديد ولكن بمنزل المعلم (ع).

بعد أن بدأ اللعب انسحبت (س) ومعها ابنتا المعلم (ع) اللتان لم تناما بعد ، حيث ذهب الجميع إلى غرف النوم بعد أن أفهمهم المعلم (ع) أنه هو وللوم وعطية سيلعبون حتى الصبح، وسينامون في ذات الحجرة عندما يدركهم التعب من اللعب ويرغبون في النوم.

مرت ساعتان تقريباً ونام الأولاد ولم تنم (س) التي كانت تتوقع أمراً ما بين لحظة وأخرى، كانت تنصت لما يحدث بالخارج، وسمعت باب غرفة اللعب يفتح ويخرج المعلم (ع) يتبعه للوم إلي الحمام، دخل للوم الحمام وعاد المعلم (ع) إلى الغرفة.

في الحمام وقف للوم لدقيقة ثم أخذ في رفع قماش بنطلون رجله اليمنى وظهرت سكين طويلة بيد خشبية سوداء كان يضعها في ساقه، وعمد إلى فك الحبل الرفيع الذي ربطها به في ساقه، ثم وقف ووضعها داخل البنطلون لتختفي بين طيات ملابسه.

عاد «للوم» إلى حجرة اللعب وعندما دخل كان المعلم (ع) يجلس وظهره في اتجاه «للوم»، ولم يُضيع للوم الوقت فأخرج السكين بسرعة البرق وغرسها حتى المقبض في رقبة (ع) من الخلف ولم يبدر أي صوت من المعلم (ع) إلاّ (آه) خفيفة، ونزع للوم السكين من رقبة (ع) وفي لحظة وبينما كان عطية مأخوذاً بما حدث أسرع إليه «للوم» وطعنه طعنتين نافذتين في البطن والصدر، وعاد بسرعة إلى (ع) وهوى عليه بثلاث طعنات أخرى رغم أنه يقول: إن (ع) لم يأت بأي حركة بعد الطعنة الأولى.

وتقول (س) في التحقيقات عما دار بعد ذلك حتى سمعت طرقاً مدوياً على باب حجرتي فنهضت وفتحت باب الحجرة فوجدت أمامي (للوم) الذي نظر إليها ونظر إلى باب آخر فتح بجوار بابها أطلت منه ابنتا المعلم (ع) ثم قال لها:

لقد كنت في الحمام وأسرع بالخروج من الشقة، وكانت ملابسه ملوثة بالدماء.. بعد خروجه من الشقة أسرعت (س) ومعها ابنتا المعلم ليجدوا المعلم (ع) وعطية أحدهما قد أجهز عليه تماماً المعلم (ع) والآخر قال لهم: لقد قتلنا الملوم.. ثم فارق الحياة. وأسرعت (س) تستدعي البوليس وأبلغت بالواقعة.

القبض على القاتل

ما أن تلقى ضابط المباحث الإخطار وتمت المعاينة حتى كانت خطة القبض في ذهنه واضحة إن من عادة أبناء البلد أن يختفوا عند أقاربهم عند الخطر حتى يتمكنوا من السفر خارج المدينة، إذ لم يكن على الشرطة إلاّ أن تراقب مخارج المدينة أولاً ومحطات القطارات والعربات المسافرة خارجها، ثم تفتيش المساكن التي ينزل بها أهالي بلد الملوم، وكان مما يسهل ذلك أنهم عادة يسكنون مساكن متقاربة ويعرف بعضهم أين يسكن الآخرون من أبناء بلده.

ولم يمض يومان حتى تم القبض على الملوم عند أحد مراكز التفتيش حيث وجد راكباً سيارة نصف نقل خارجة من المدينة. وشهدت (س) وبنات المعلم (ع) وأدلت (س) في الشهادة بدورها في الجريمة تفصيلياً وشهد بعض رواد المقهى بمشاهدتهم للملوم يلعب الورق مع المعلم (ع) ليلة الحادثة ولم يكن أمام الملوم إلاّ الاعتراف.

وفي اليوم الرابع والعشرين من نوفمبر ١٩٩٣م صدر الحكم فحكمت المحكمة حضورياً بمعاقبة (الملوم) بالاعدام شنقاً.

وقد سألنا الدكتور الطبيب بعد بحث هذه الحالة قائلاً: ما رأيك في هذا الانسان؟ قلت له: الأمر متروك للقارىء.

تعقيب (الأمن والحياة)

من واقع المتابعة لأحداث ووقائع هذه القضية يتضح أن جميع الأطراف التي لعبت دوراً فيها يجمعها قاسم مشترك هو (التنشئة الاجتماعية السيئة)، وجميعها تشترك في عنصر الاجرام.. فالجاني الملوم تنشئته سيئة عاش وسط بيئة أسرية سمحت له بالتمرد عليها لأنها بالغت في تدليله وتسليطه على أقرانه.. ومعروف أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.. هذا الجاني فاشل في المدرسة.. فاشل في تعامله مع أفراد أسرته الذين أفصحوا له علناً أنه شخص غير مرغوب فيه في داخل الأسرة فهام على وجهه معتمداً فقط على شخصيته الشريرة المؤهلة لارتكاب أي نوع من أنواع الجرائم.

أما المعلم (ع) فهو الآخر يفتقر إلى التنشئة الاجتماعية السوية.. انه شخص وصولي.. يتمسكن حتى يتمكن وفق ما يقوله المثل الشعبي.. هذا الرجل وجد من يأخذ بيده ويرعاه ويسكنه في مسكن صغير لم يلبث أن بنى له بيتاً كبيراً بعد أن زوجه ابنته.. لكنه ما أن اشتد ساعده حتى عقر اليد التي امتدت اليه.. فخانها.. وأنكر الجميل.. وطرد ابنة هذا الرجل بعد أن تزوج بامرأة أخرى لم يكن زواجها منه إلاّ لمصلحة.

أما المرأة (س) فإنها هي الأخرى افتقرت إلى التنشئة الاجتماعية السليمة، وهذه المرأة بنزعتها العدوانية وسلوكها المنحرف تآمرت على زوجها مع مجرم آخر فقتله.. وبهذا تكون هي مشاركة معه في الجريمة.

إن جميع هذه الأطراف تلتقي على طريق واحد هو طريق الشر.. طريق الجريمة.. ولكن أين رجال الأمن؟ وأين العدالة؟

إنهم جميعاً بالمرصاد.. وهذا ما أثبته بالفعل رجال الأمن الذين تمكنوا في فترة زمنية لم تتجاوز اليومين من القبض على القاتل وعلى جميع رموز الجريمة.. وأما العدالة فقد أخذت طريقها بإعدام القاتل شنقاً جزاء لجرمه الشنيع.. وهكذا.. يتبين دور رجل الأمن في تطهير المجتمع من المجرمين المفسدين في الأرض.. فهؤلاء الرجال هم الساهرون على أمن المجتمع. ■